

محلل إسرائيلي: نتنياهو سيرتكب خطأ تاريخيا فادحا بالتطبيع مع السعودية لهذا السبب



اعتبر يوسي ميلمان، المحلل الإسرائيلي البارز المختص في شؤون الأمن، أن التطبيع المحتمل بين إسرائيل والسعودية، سيكون بمثابة "خطأ تاريخي"، بالنظر إلى استعداد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو للامتناع عن معارضة بناء الولايات المتحدة برنامجا نوويا متقدما للسعودية؛ من أجل مصلحته الشخصية.

وأضاف ميلمان، في مقال نشرته صحيفة "هآرتس" العبرية، أن التحركات الأخيرة تظهر أن نتنياهو لديه استعداد واضح للتضحية بالأمن القومي وتعريض بقاء إسرائيل للخطر؛ لتحسين وضعه الشخصي في الداخل والخارج، حتى لو كان ذلك بامتلاك السعودية لبرنامج نووي.

وحذر المحلل الأمني من أن امتلاك السعودية لبرنامج نووي من شأنه تحويل بوصلة الشرق الأوسط نحو الأسلحة النووية، وهذا التحول هو آخر شيء يريده أي زعيم عاقل في إسرائيل.

عقيدة بيجن

وذكر ميلمان أن إسرائيل ظلت على مدار العقود الأربع الماضية تحارب انتشار الأسلحة النووية في الشرق

الأوسط، حتى تكون هي القوة الوحيدة التي لديها هذه الأسلحة، رغم أنها لم تعلن قط عن امتلاكها.

كجزء من تلك المساعي، شرع الجيش الإسرائيلي مرتين في تنفيذ استراتيجية "عقيدة بيجن"، التي تؤكد أنه لا يمكن السماح لأي دولة في الشرق الأوسط بالاقتراب من القدرة على تطوير أسلحة نووية.

□ في عام 1981، قصف سلاح الجو الإسرائيلي "مفاعل تموز" (أوزيراك) النووي بالقرب من بغداد، وفي عام 2007 فعل الطيارون الشيء نفسه في سوريا ودمروا المفاعل النووي في دير الزور.

لكن على الرغم من ذلك، يبدو أن نتنياهو مستعد الآن لتمكين السعودية من أن تصبح دولة نووية، كجزء من صفقة شاملة.

يحاول مدير مجلس الأمن القومي تساحي هنجبي التقليل من أهمية هذه الخطوة، بالنظر إلى أن عشرات الدول لديها مشاريع مفاعلات نووية مدنية، إذ قال الإثنين في مقابلة إعلامية إن مصر لديها مثل هذا المفاعل في منطقتنا، وكذلك الإمارات.

وعقّب ميلمان بأن ما قاله هنجبي حقيقي ولكن جزئياً؛ إذ بالفعل تمتلك عشرات الدول مفاعلات نووية لتوليد الكهرباء، يوجد في مصر مفاعل أبحاث صغير، ويتم تشغيل المفاعل في الإمارات باليورانيوم المخصب بمستوى منخفض، والذي يتم استلامه من مورد خارجي.

خدعة الاحتياجات المدنية

□ من ناحية أخرى، تريد السعودية بناء منشآتها المستقلة الخاصة بتخصيب اليورانيوم، تماماً مثل إيران، التي تدعى على غير الحقيقة، أن برنامجها النووي مخصص للاحتياجات المدنية فقط.

وهناك مشكلة أكبر حتى يتجاهلها هنجبي (الذي يعكس وجه نظر نتنياهو)، وهي أن كل الدول التي تحاول تحقيق برنامج نووي عسكري فعلت ذلك تحت غطاء برنامج نووي مدني، سواء لأغراض البحث، أو لتوليد الكهرباء، أو كلاهما.

وذكر ميلمان أن هذا ما حدث في الهند وباكستان وكوريا الشمالية وجنوب أفريقيا (التي فككت برنامجها العسكري بعد سقوط نظام الفصل العنصري).

وأوضح أن هذه البلدان وغيرها تتلقى في الأصل المعرفة والتكنولوجيا والمعدات وحتى المفاعلات الكاملة من الغرب (الولايات المتحدة وفرنسا وكندا) أو من الاتحاد السوفياتي والصين.

ولفت إلى أن تلك الدول فعلت ذلك في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي كجزء من برنامج تسخير الذرة من أجل السلام والتنمية، الذي بدأه الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور، وفي وقت لاحق تم إنشاء الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

من عام 1966 إلى عام 1968 تمت صياغة معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، ورفضت إسرائيل الانضمام إليها.

كان برنامج تسخير الذرة من أجل السلام والتنمية وإنشاء الوكالة الدولية للطاقة الذرية رد فعل على الصدمة التي مر بها العالم بإلقاء القنابل الذرية على هيروشيما وناجازاكي في نهاية الحرب العالمية الثانية.

أعرب العديد من العلماء الذين شاركوا في مشروع مانهاتن (مشروع بحث وتطوير جرى العمل عليه في أثناء الحرب العالمية الثانية لإنتاج الأسلحة النووية لأول مرة)، في مختبر لوس ألاموس الوطني، عن أسفهم لدورهم في المشروع.

ردع وعلاقات خارجية

في المقابل، توصلت دول أخرى، بما في ذلك إسرائيل، إلى نتيجة معاكسة لتسخير الذرة من أجل السلام والتنمية، مفادها أنه يتعين عليهم تجنيد العلوم والتقنيات النووية لضمان أمنهم القومي، وتحسين علاقاتهم الخارجية والردع.

البعض استغل "الهدايا" التي حصلوا عليها من الدول العظمى، وطوروا برنامجاً عسكرياً تحت غطاء البرنامج المدني.

وهذا أيضاً ما فعلته إيران وما زالت تفعله، فهي ليس لديها أسلحة نووية حتى الآن، لكنها ليست بعيدة عن القدرة النووية.

وذهب إسرائيل إلى أبعد من أي منهم؛ فهي ليست فقط من الدول غير الموقعة على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، ولكنها سمحت لنفسها بتوفير المعرفة والتقنيات للبلدان التي تريد إرضاءها.

وتفيد تقارير بأن العلماء النوويون الإسرائيليون تعاونوا مع جنوب أفريقيا وتايوان وإيران في عهد الشاه.

بالإضافة إلى ذلك، ناقشت مصانع الصواريخ الإسرائيلية بيع صواريخ أريحا (باليستية) لهذه الدول.

وفي هذا الصدد لا يسعنا إلا أن نشعر بالرعب من فكرة أنه إذا استمرت هذه العلاقة، فإن "إيران الخمينية" ستكون لديها صواريخ بعيدة المدى تعتمد على المعرفة والتكنولوجيا الإسرائيلية، وموجهة إلى "الكيان الصهيوني".

وعلى نفس المنوال، أجرت الولايات المتحدة مثل هذه المعاملات مع إيران في عهد الشاه، باعت لها مفاعلات نووية وشجعت طهران على شراء المزيد.

تسامح أمريكي

ووفق ميلمان، فإن إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن تحتاج إلى إنجاز في السياسة الخارجية قبل الانتخابات، وصفقات أسلحة تصل قيمتها إلى عشرات المليارات من الدولارات لتقوية الاقتصاد، وبالتالي فهو يحاول تحقيق التطبيع مع ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان.

لهذا الغرض، فإن الأمريكيين على استعداد حتى للتسامح مع الزعيم السعودي لتورطه في مقتل الصحفي جمال خاشقجي، رغم تواعد بايدن بجعل المملكة منبوذة.

من ناحية أخرى، لدى بن سلمان مطالب بعيدة المدى: تحالف دفاعي مع الولايات المتحدة على غرار حلف شمال الأطلسي (الناتو)، وتوريد أسلحة حديثة متطورة بقيمة عشرات المليارات من الدولارات، وبرنامج نووي يتضمن تخصيب اليورانيوم على الأراضي السعودية.

ورأى المحلل الإسرائيلي أن أحد الأسباب المهمة التي تجعل الولايات المتحدة مستعدة للنظر في كل هذا هو أنها إذا لم ترضي مطالب بن سلمان، فإن الصين ستفعل ذلك.

ماذا عن إسرائيل؟

وذكر ميلمان إسرائيل التي عارضت حصول السعودية في الثمانينيات على طائرات "أواكس" (نظام الإنذار والتحكم المحمول جواً)، تغير نهجها في السنوات الأخيرة.

فقد وافق نتنياهو على أن تقدم إدارة دونالد ترامب طائرات مقاتلة من طراز "F-35" إلى الإمارات مقابل انضمامها إلى اتفاقات "إبراهام".

والآن، في الوقت الذي يسعى فيه نتنياهو بشدة إلى تحقيق إنجازات، يرى في إبرام اتفاق تطبيع مع السعودية تويجاً لإنجاز سياسته وإرثه؛ لهذا السبب فإنه ومساعديه مستعدون لغض الطرف عن الاتصالات على محور واشنطن-الرياض، وبالتأكيد لن يعارضوها علانية.

وأوضح ميلمان أن المؤسسات الاستخباراتية والأمنية - الموساد والاستخبارات العسكرية ولجنة الطاقة الذرية - تعتقد أنه يجب على إسرائيل معارضة نية الولايات المتحدة تقديم برنامج نووي للسعودية.

ويعتقد رئيس الأركان هيرزي هاليفي ورئيس المخابرات العسكرية أهارون حليوة ورئيس الموساد ديفيد بارنيا أنها خطوة خطيرة.

حتى أن الأخير أعرب عن معارضته خلال اجتماعاته قبل نحو أسبوعين مع كبار مسؤولي البيت الأبيض ووكالة المخابرات المركزية في واشنطن.

عقبات

وذكر المحلل الإسرائيلي أنه وفق التجارب السابقة فإن نتنياهو لا يستمع إلى المحترفين، ولا حتى في القضايا الأمنية.

على سبيل المثال، في عام 2015، عارض الاتفاق النووي مع إيران على الرغم من رأي جميع المهنيين، وحتى أنه تحدى بشكل صارخ الولايات المتحدة آنذاك الرئيس باراك أوباما حول هذا الموضوع عندما تحدث إلى الكونغرس.

لكن عندما يكون هناك احتجاج عام وتوسع في رفض التطوع لواجب الاحتياط في جيش الدفاع الإسرائيلي، وإصلاح قضائي بعيد المنال، يكون من الصعب الاعتماد على حكم نتنياهو.

لحسن الحظ، هناك عقبة رئيسية واحدة في طريقه: الولايات المتحدة تشترط استعدادها لتوقيع اتفاقية مع السعودية بشأن التنازلات الإسرائيلية تجاه السلطة الفلسطينية.

يجب أن يشمل ذلك تعهد نتنياهو بعدم ضم الضفة الغربية، وعدم البناء في المستوطنات، وتيسير حرية الحركة لسكان الضفة الغربية والعمل على تحسين وضعهم الاقتصادي.

حتى لو كان نتنياهو مستعداً لذلك، يمكننا أن نفترض أن شركائه في الائتلاف، ايتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش، لن يكونوا سعداء بمساعدته وسيهددون بتفكيك الحكومة.

إذا أعطت الولايات المتحدة السعودية برنامجاً نووياً، فيمكننا افتراض أنه سيكون هناك إشراف أمريكي شديد الصرامة عليه.

في الوقت نفسه، يجب أن يتذكر نتنياهو ثلاثة أشياء: الأول مرتبط بكلمات اعتماد (مثل الشاه في أيامه)، يحلم بن سلمان أيضاً ببرنامج نووي عسكري، الأمر الثاني هو أنه إذا كان لدى السعودية برنامج نووي، فإن دولاً أخرى في المنطقة وعلى رأسها تركيا ومصر ستحاول تحقيق ذلك، والثالث أن برنامجاً نووياً سعودياً يرجح أن يوفر لإيران ذريعة لتجاوز العتبة وإنتاج أسلحة نووية.

وخلص ميلمان إلى أن تحويل الشرق الأوسط بوصلته إلى أسلحة نووية هو آخر شيء يريده زعيم عاقل في إسرائيل.

المصدر | يوسي ميلمان/نهارتس- ترجمة وتحرير الخليج الجديد

